مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

أوراق نماء (١٥٤)

مفهوم الإسلام في القرآن

من منظور التفسير الفلسفي المعاصر

لأبي يعرب المرزوقي

د. محمد كنفودي

www.nama-center.com

الآراء الواردة في الورقة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز

أوراق نماء (١٥٤)

مفهوم الإسلام في القرآن

من منظور التفسير الفلسفي المعاصر لأبي يعرب المرزوقي

د. محمد كنفودي

غرة القول:

يعد مفهوم «الإسلام» من المفاهيم والاستعمالات النصية القرآنية؛ إذ قد ورد في العديد من نصوص القرآن، في سياقات متعددة ومتنوعة. وقد حُدد تاريخيًّا تحديدات كثيرة على مستوى التعريف الاصطلاحي به؛ سواء كان التحديد تراثيًّا أو معاصرًا، إسلاميًّا أو استشراقيًّا. ونعرض في هذا المقال تحديد دلالته من منظور أبي يعرب المرزوقي الفلسفي المعاصر، وتقوم ماهية إنية تحديده على عدة أسس أهمها:

أولًا– مفهوم الإسلام ونواظم (الفطرة)، و(الخاتمية)، و(التوحيد):

يحدد أبو يعرب المرزوقي دلالة مفهوم (الإسلام) بالمعنى الاصطلاحي وفق نواظم ثلاثة؛ بوصفها محددات منهجية ومعرفية معًا، تجعل منه غير مرتبط، أو قل، غير مرتهن جدليًّا بأي واقع زمني أو تعين تاريخي سابق أو متزامن أو لاحق إطلاقًا، وهي:

(١) الإسلام وناظم – أصل أو محدد (الفطرة):

يرتبط مفهوم (الإسلام) بـ (الفطرة) خَلْقًا؛ إذ هي ممَّا فطر الله الناس جميعًا عليها [(١)]، فكان بذلك حاملًا لنفس صفاتها التي من جنسها، مثل: الكونية، الإنسانية، التعالي عن كلية التعينات أو الظرفيات التاريخية [(٢)]، التوحد وعدم التعدد، الثبات وعدم التغير، التجرد عن التناقض مطلقًا ونحو ذلك [(٣)]. وكون (الإسلام) دينيًّا فطريًّا؛ فذلك عينه هو مضمون الوحي المنزل= القرآن، الذي

---

(١) تأمل قوله – تعالى –: **{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}** [الروم: ٢٩].

(٢) «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٩٠، ١٩١)، و«آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٤).

(٣) ممَّا يدل على ذلك الآيات الآتية: [النساء: ٨١]، و[فصلت: ٤١].

أنزل على الرسول – عليه الصلاة والسلام –، القائم على المراعاة النصية التكليفية لنفس محددات أو صفات، أو قل، مقومات مفهوم (الفطرة)؛ إذ من أهم ما يحث عليه «إسلام القرآن النصي» في هذا السياق على سبيل التعزيز، الدعوة إلى تجاوز مطلق العرضيات ذات التأثير السلبي، والتلاقي في الأفق الكوني الإنساني المتعالي المفتوح، الذي يعد الأصل الجامع للناس، الذي تقوم إنيته على مبدإ وقيمة كليين؛ فأما (المبدأ الكلي): فهو الفطرة الإنسانية الواحدة، أو قل: المشتركة بفضل الخلق. وأمَّا (القيمة الكلية): فهي الأخوة الإنسانية المتعالية، بفضل ما أسسه إسلام الفطرة= القرآن من نظرية مضاعفة تُبرئ كل إنسان ما لم يتلقَ رسالة منزلة [٤]، ويَعترف بكل الأديان طبيعية كانت أو منزلة، بل وتضمن لأصحابها حق ممارسة شعائرهم الدينية في ظل الدولة الإسلامية [٥]، ما دام أن كل إنسان عابدٌ أو متدين بالضرورة فطريًّا، وذلك مؤسس على حجتين (عليا)، و(دنيا)؛ فأمَّا (الحجة العليا)؛ فهي (توسيع مفهوم الإيمان) [٦]. وأما (الحجة الدنيا)؛ فهي (تأجيل الحكم على الناس والفصل بينهم أيضًا إلى يوم الدين) [٧].

إنَّ «إسلام الفطرة=القرآن»، يسميه أبو يعرب المرزوقي بـ «الدين الفطري» الذي يُذكر به الوحي=القرآن ولا يؤسسه؛ بمعنى أنه يذكر القواعد العامة من مضمونه دون تحديد ملغٍ لـ «حرية الاجتهاد الإجماعي»، ما دام أنَّه «فعْلٌ وحيدٌ للتشريع» [٨]. وبوصف «إسلام الفطرة دينًا طبيعيًّا»؛ فلا يحتاج فيه إلى وسطاء [٩]، بل كل مسلم مستخلف في الكون بما هو مدرك لآيتي فعل الخالق للطبيعة والشريعة، بالآليات العقلية القابلة للتجويد أو التطوير المستمر [١٠].

إنَّ أهم ما يشكل ماهية «إسلام الفطرة» الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام – في نص القرآن، تبيان التحريف الطارئ عليه تاريخيًّا في التوراة والإنجيل تحديدًا. فـ «إسلام نص القرآن»، وإن كان متأخرًا عنهما وعن غيرهما في الزمن؛ فهو متقدم على

---

[٤] يقول – تعالى –: **{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا}** [الإسراء: ١٥]، وقوله أيضًا: **{رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا}** [النساء: ١٦٤]، وقوله: **{إنما أنتَ مُنذر ولكل قوم هاد}** [الرعد: ٨].

[٥] بناء على مراعاة واحترام حق الحرية الدينية لكل إنسان كما ثبت نصًّا في النص الشرعي.

[٦] تأمل قوله – تعالى –: [البقرة: ٦١]، و[المائدة: ٧١].

[٧] تأمل قوله – تعالى –: **{ولو شاء الله لجعلكم أمة وحدة ولكن ليبلوكم في ما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم تعملون}** [المائدة: ٥٠]. **{إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد}** [الحج: ١٧]. «آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٦٧، ١٦٨)، و«تحديات وفرص»، (ص/ ٢٢٤)، و«شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٤، ١٥)، و«الوعي العربي في قضايا الأمة»، (ص/ ١٦٥).

[٨] «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٥).

[٩] «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٢).

[١٠] «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٥)، و«تجليات الفلسفة العربية»، (ص/ ١٢٣).

الكل، بوصفه نصًّا مُتقدِّمًا بالذات على مطلق التحريفات المتقدمة عليه زمانيًا اعتبارًا لا حقيقة، خصوصًا كونه هو «الفطرة=الدين الفاتح»، أولًا، الذي لم يسبقه أمر على مستوى الخلق تحديدًا؛ إذ «إسلام القرآن» و«الفطرة=الخلق» شيء واحد متصل لا ينفصل، وثابتٌ لا يتغير، وواحدٌ لا يتكوثر، ومتعالٍ مطلق لا يدخله تحريف [١١].

وعليه؛ فإنَّ «الإسلام النصي الفطري الخاتم»، الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام – بالمحددات السالفة الذكر، رمى من خلال ذلك أبو يعرب المرزوقي إلى جعل الأديان بنوعيها (طبيعية)، أو (منزلة) فضلًا عن معتنقيها، تلتقي في الأفق الكوني الذي جاء به (الإسلام الخاتم)؛ بوصفه محمولًا خِلقة في الفطرة وخلُقًا في الأديان، درءًا لكلية الأعراض أو الظرفيات التي تذهب باللحمة الإنسانية الجامعة.

(٢) الإسلام وناظم–أصل أو محدد (الخاتمية):

إنَّ (الإسلام) بوصفه دينًا (خاتمًا) كما ثبت نصًّا، ذلك مع ناظم (الفطرة) بالمعنى السالف الذكر، أهم ما يرسم معالم دلالة مفهوم (الإسلام) من منظور أبي يعرب المرزوقي. ويتجلى ناظم (خاتمية الإسلام=نص القرآن) في:

أولًا: إنَّ (الإسلام الخاتم) قد عالج مطلق الأدواء التي وجدت تاريخيًّا، منذ زمن (الإسلام الفاتح) إلى زمن نزول (الإسلام الخاتم)؛ بوصفها تحريفات صريحة لـ (إسلام الفاتح)، و(إسلام الفطرة) معًا [١٢].

ثانيًا: إنَّ (الإسلام الخاتم) قد قدَّم كل العلاجات النظرية والعملية لعموم الأدواء الممكنة الوجود. وممَّا يدل على الأمر الأول نذكر ما يلي:

- بعد تحقير منزلة البدن، جاء (الإسلام الخاتم) فرفعه إلى المنزلة التي أولاه الله – تعالى – إياها، عندما أوجده منذ الخلق الأول جديرًا بأن ينفخ فيه من روحه؛ ليكون الإنسان المستخلف=البدن المشعر الذي بناه الله – تعالى – لنفسه [١٣].
- بعْد تجسد توسط سلطة بين الإنسان وخالقه، أو بين الإنسان والوحي المنزل، جاء (الإسلام الخاتم)؛ فحرّر الإنسان من ذلك كله، بأن نفى كل سلطة روحية أو غيرها تستفرد بفهم الوحي المنزل، وتحرم على باقي الناس الاجتهاد في فهمه، بأن تلزمهم

---

(١١) «الجلي في التفسير»، (٣/ ١٨).

(١٢) «تجليات الفلسفة العربية»، (ص/ ١٢٣)، و«آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٧٢)، و«شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٠٧، ١٠٨)، و«في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني»، (ص/ ١٠٧، ١٠٨).

(١٣) «الجلي في التفسير»، (٢/ ١٨٨).

بتطبيق ما قدم لهم من تفسيرات (صحيحة)، تحولت مع توالي الزمن مقدسة أكثر من المقدس نفسه، في حين هي لا تعْدوا أن تكون من (الجهل المقدس)، أو (المؤسس) (١٤).

- بعْد تحقق كثرة من أنواع وصور الفصام بمختلف مجالات تعلقه، جاء (الإسلام الخاتم)؛ فحرر الإنسان منها ومن نتائجها الوخيمة بعد أن عالجها موضوعيًّا، وخاصة فصام المقابلة بين الروح والجسد نفسيًّا، والعقلي والمادي نظريًّا، والديني والسياسي عمليًّا، والواقعي والقيمي فلسفيًّا، والدنيوي والأخروي دينيًّا، أو التقابل بين الطبيعي والتاريخي، أو الدين الطبيعي الأسمى والدين المنزل الأسمى، أو التقابل بين الدعوة والدولة ونحو ذلك. من خلال استعادة مفهوم (الفطرة=الإسلام الفاتح)، وتخليصه من كل أنواع التحريفات الطارئة أو الناتجة، التي حدثت بفضل عوامل تاريخية بنيوية أو ظرفية أو هما معًا (١٥).
- بعْد تثبيت مختلف العرضيات وجعلها معيارًا أعلى، جاء (الإسلام الخاتم)، فخلص الإنسان من كل ذلك، بعد أن عالج فصام الأجناس والأنواع المتعلق بالحضارات والثقافات والقوميات واللغات والأعراف وعموم الظرفيات أو الخصوصيات، التي أضحت مع توالي الزمن وتباين الفجوة بين المجتمعات إلى موازين قيمية؛ وذلك بأن صهرها في أفق (الأخوة الإنسانية المشتركة المتعالية)، الذي يضفي النسبية القائمة على التداخل التكاملي في (مشروع الإسلام) الخاتم الإنساني (١٦).
- تجاوز (الإسلام الخاتم=القرآن) الذي أنزل على الرسول – عليه الصلاة والسلام – مختلف الأشكال المتقدمة عليه؛ لأنَّها كانت تابعة في نشوئها للدورات، وليست محررة منها ألبتة (١٧).

وأما أهم ما يدل على الأمر الثاني فنذكر ما يلي:

- إنَّ (الإسلام الخاتم) بكونه كما ثبت نظرًا وعملًا، يخاطب الإنسان بما هو إنسان في بعده المجرد؛ فقد قدم حلولًا ناجعة وفاعلة لمختلف مشاكل الإنسانية عامة، إذ كما ينص أبو يعرب المرزوقي أن مصير الإنسانية كلها أصبح مشتركًا عامًا؛ لذلك فإنَّ حلول الإسلام اليوم لن تكون إلَّا إنسانية أو لا تكون (١٨).

---

(١٤) «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٥).

(١٥) «الوعي العربي في قضايا الأمة»، (ص/ ٥٠)، و«شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٠٧، ١٠٨)، و«في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني»، (ص/ ١٠٧، ١٠٨)، و«شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٠)، و«الجلي في التفسير»، (٢/ ٥٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٥٦)، و(٣/ ٤٣).

(١٦) «الجلي في التفسير»، (٢/ ١٠٧، ١٠٨). و«تحديات وفرص»، (ص/ ٢٢٤). من أهم ما يشدد عليه أبو يعرب المرزوقي، أن رسالة «الإسلام النصي» عبارة عن «مشروع إنساني»، ولا تتحقق فاعليته نظرًا وعملًا إلَّا بهذا المنظور.

(١٧) «آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٧٢).

(١٨) «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٤)، و«آفاق النهضة العربية»، (ص/ ٦٠ – ١٦٧ – ١٦٨).

- إن ما قدمه (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن) على مستوى علاج مختلف أزمات الناس، لا يتجاوزه أو يدانيه إطلاقًا أي علاج إنساني في مختلف أزمنة الاجتهاد التالية. لذلك كله: فإنَّ (الإسلام الخاتم) في طرْحه يتلازم، أو قل: يتداخل فيه كونية، أو قل: إنسانية الدعوة، وكونية وإنسانية العلاج معًا [١٩].

- إنَّ رسالة «الإسلام النصي الفطري الخاتم» كونها مفتوحة للناس جميعًا بالاختيار، يمثل هذا الناظم–الأصل قوة جذب أنموذجي في سائر الأزمنة والأمكنة، خصوصًا إذا علمنا أنَّه ليس مجرد عقيدة، أو مذهب ظرفي ذاتي يعيش عليه الناس، بل هو مشروع حياة حي محرّر [٢٠].

وعليه؛ فإنَّ (الإسلام النصي الخاتم) الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام –، بذلك المحدد أو الناظم–الأصل المنهجي، بقدر ما خلّص الإنسانية وحرّرها من مختلف أضرُب التحريف المفضية إلى مآزق وجودية عامة أورثت انفصامًا وانفصالًا، بقدر ما قدّم للإنسانية كلية سُبُل الرّشاد والرشد الفردي والجمعي، درءًا لأي (مروقٍ)، أو (شرودٍ) حسب تعبير طه عبد الرحمن [٢١].

(٣) الإسلام وناظم–أصل أو محدد (التوحيد):

إنَّ مِن أهم النواظم أو المحددات التي يضبط بها أبو يعرب المرزوقي دلالة مفهوم (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن)؛ بوصفه مفهومًا نصيًّا، نجد:

- إنَّ (الإسلام) من منظور القرآن، «ليس شيئًا آخر غير الديني في كل دين طبيعي أسمى كان أو منزلًا أسمى ما لم يكن محرّفًا» [٢٢]. ومختلف صور النقد والإصلاح الذي يوجهه القرآن إلى مختلف الأديان المنزلة من خلال مفهوم (التحريف)، أو إلى

---

(١٩) «النخب العربية وعطالة الإبداع من منظور الفلسفة القرآنية»، (ص/ ٩)، و«تحديات وفرص»، (ص/ ٢٢٤).

(٢٠) «التفسير الفلسفي»، (٢/ ٢٦)، و«الوعي العربي في قضايا الأمة»، (ص/ ١٥٩). قد حدد أبو يعرب المرزوقي جملة أمور حرر الإسلام الإنسانية منها، وفي المقابل حدد أيضًا ما أسسه الإسلام من مؤسسات جنينية لذلك الغرض. الوعي العربي في قضايا الأمة، (ص/ ١٥٩ – ١٦١).

(٢١) انظر: «شرود ما بعد الدهرانية النقد الائتماني للخروج من الأخلاق»، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت. لبنان، (ط. ١)، (٢٠١٦ م).

(٢٢) «الجلي في التفسير»، (٢/ ٣٢). يقول أبو يعرب المرزوقي: «إنَّ الإسلام يجب أن يكون من عند الله في الواقع وليس في الواجب فحسب»، «الجلي في التفسير»، (١/ ١٠١). يقول أيضًا: «كل دين غير محرف يسميه القرآن إسلامًا». «الجلي في التفسير»، (٢/ ١٩١). يقول: «القرآن يميز بين الدين الواحد في كل الرسالات المتوالية عموما توزيعيًا – لكل أمة رسول بلسانها – وعمومًا كليا – الإسلام هو الدين الواحد في كل الأديان المتوالية – والشرائع المتعددة – من حيث هي كيفيات وطرق تنظيم حياة الفرد والجماعة حياتهما التعبدية استنتاجًا من الدين الواحد». [«أشياء من النقد والترجمة»، (ص/ ١٧٩)].

الأديان الطبيعية من خلال مفهوم (الجاهلية)، سيق مساق الدعوة إلى (التوحيد بين الدين المنزل الأسمى والدين الطبيعي الأسمى)، تحت مسمى جامع هو اسم (الفطرة الإسلامية)، أو (الإسلام الفاتح) [٢٣].

- إن (الإسلام) من منظور أبي يعرب المرزوقي القائم على ناظم أو محدد الإصلاح، سواء كان الإصلاح عقديًا–دينيًّا عبر آلية (التحريف)، أو كان سلوكيًا–عمليًّا عبر آلية (الجاهلية)، لا يسعى من الإصلاح الجامع إلى التوفيق أو الجمع بين (الدين المنزل) السابق و(الدين الطبيعي) فحسب، بل يضيف إليهما التوحيد بينهما وبين (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن)؛ إذ كل ذلك جمعًا داخل ضمن مشمولات مفهوم (الإسلام). ما دام أنه لا يوجد في الأصل ألبتة حسب نص أبي يعرب المرزوقي، (التنافي بين الدين الطبيعي الأسمى)، و(الدين المنزل الأسمى)؛ إذ الكل مُسيَّجٌ بـ (ناظم الفطرة=الإسلام الفاتح)، المحمول مع كل إنسان في مطلق حالات وجوده؛ سواء اتبع (الدين المنزل)، أو (الدين الطبيعي) [٢٤].
- إنَّ (الإسلام النصي) حسب أبي يعرب المرزوقي، يتضمن ما يكفي من (القيم العليا المعيارية)، ما يمكنه من توحيد الإنسانية توحيدًا من باب التلاحم لا نظير له في الوجود الإنساني الإمكاني مطلقًا [٢٥].

وعليه؛ فإنَّ (الإسلام النص الخاتم) الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام –، يقوم نَفَسُه العام على ناظم (التوحيد والجمْع)؛ بحيث إنَّ مسلك التوحيد يشرئب نحو أفق لاحِم على مستوى الكليات الجامعة العامة.

ثانيا– مفهوم الإسلام والأفق الكوني اللَّاحِم المفتوح:

إذا كان (الإسلام) قد ارتبط بـ (الفطرة) التي فطر الله الناس عليها أزلًا أوَّل الأمر؛ فإنَّه كان بذلك كونيًّا وإنسانيًّا وعالميًّا كما ثبت نصًّا؛ سواء تم النظر إليه بوصفه (فاتحًا)، (إسلام الفطرة)، أو النظر إليه بوصفه (خاتمًا)، (إسلام القرآن) [٢٦]. فيكون بالتبع، (إسلام القرآن) الذي جاء به رسول الله – عليه الصلاة والسلام – هو واحد، ونفسه في كل الرسالات المنزلة وفي الأديان الطبيعية السابقة عليه. وليس الأمر وقفًا على مستوى البداية (الإسلام الفاتح=الفطرة) فحسب، بل يعم ويمتد ليشمل الغاية والنهاية (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن)؛ من حيث الوعي الكوني بتلك (الفطرة الإسلامية الكونية) [٢٧]. ومن ثمة فإنَّ تحققه الفعلي

(٢٣) «الجلي في التفسير»، (٢/ ٣٢)، و«شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٠).

(٢٤) «الجلي في التفسير»، (٢/ ٣٢ – ٥٨ – ١٩١)، و(٣/ ٥٤). يقول: «مفهوم الدين الفطري لا يتنافى فيه الطبيعي والشريعي». «في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني»، (ص/ ١٠٧، ١٠٨، ٣٥)، و«شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٠).

(٢٥) «الجلي في التفسير»، (٣/ ١٤٩).

(٢٦) «الجلي في التفسير»، (٢/ ٥٨).

(٢٧) «الجلي في التفسير»، (٢/ ٣٢)، (٣/ ١٨ – ٥٤)، تأمل النصوص القرآنية الآتية: [إبراهيم: ٥]، و[مريم: ٩٨]، و[الدخان: ٥٥].

الإنساني تاريخيًّا تم بتدرج، حسب ما اقتضته نواظم طبيعة الحياة الإنسانية، فضلًا عن المشيئة الإلهية القائمة على سنن الله – تعالى – خلقًا وأمرًا. بذلك كله، يكون (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن)، هو الدين الواحد في كل الرسالات المتوالية، عمومًا توزيعيًّا من باب إنَّ لكل أمة رسول بلسانها. وعمومًا كليًّا من باب: إنَّ الإسلام الخاتم هو نفسه في كل الأديان السابقة عليه، فضلًا عن أنه مِن جنس الشرائع المتعددة، من حيث هي كيفيات وطرق تنظيم الحياة (٢٨).

إنَّ كون (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن) هو واحد ونفسه في كل الأديان السابقة عليه، منزلة كانت أو طبيعية، باعتبار ناظم (الفطرة الإسلامية الكونية اللاحمة)؛ فإنَّه يحمل ما يكفي من التشريعات والقيم؛ ليحقق بها تجاوز مطلق القوميات، أو قل، العرضيات، عربية كانت أو سامية أو غيرهما من حيث التأثير المفرق، ويعانق في المقابل، الأفق الكوني الإنساني اللاحم المفتوح (٢٩)، وقد تم تأسيسه من منظور أبي يعرب المرزوقي على بُعدين:

البُعد الأول نقدي؛ حيث إنَّ (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن)، قام بمراجعة شاملة للتاريخ البشري قصد تخليصه مما أبعده عن ناظم (الفطرة الإسلامية السوية). فضلًا عن استيعابه لكل ما بقي صالحًا من ماضي الإنسانية مطلقًا؛ سواء كانت قائمة على الأديان المنزلة أو الطبيعية، خصوصًا على المستوى الرمزي. والفرْز النقدي يعتمد في القرآن على معياري (التصديق)، و(الهيمنة) بغربال مضاعف، هو نقد النصوص الدينية بمفهوم (التحريف)، ونقد السلوك الإنساني بمفهوم (الجاهلية) (٣٠).

البعد الثاني إيجابي؛ حيث إنَّ (الإسلام الخاتم) سعى إلى تأسيس الحضارة الكونية على مبدأ كلي وقيمة كلية ينسجمان مع (إسلام القرآن)، وهما (مبدأ الفطرة البشرية الواحدة)، و(قيمة الأخوة البشرية) أيضًا، التي تتعاليان على مطلق الفروق العرضية بفضل نظرة مضاعفة تبرئ كل البشر ما لم يتلق الرسالة. وتعترف بكل الأديان طبيعية كانت أو منزلة، بل وتضمن لأصحابها حق ممارسة شعائرهم في ظل الدولة الإسلامية، بحجتين (عُليا)، و(دُنيا)، فأمَّا (الحجة العُليا)؛ فهي: «توسيع مفهوم الإيمان». وأمَّا (الحجة الدُّنيا)؛ فهي: «تأجيل الحكم بين البشر إلى يوم الدين» (٣١). وبذلك كله، يتحقق لإسلام القرآن مقصده الأسمى، وهو التعالي على الهُويات الحضارية الأممية. وفي المقابل يحفز على خلق أو إيجاد هُوية واحدة مشتركة، وهي الهوية الروحية، فتتلاقى الهُويات

(٢٨) «أشياء من النقد والترجمة»، (ص/ ١٧٩). ينص أبو يعرب المرزوقي على أن «الإسلام الخاتم» يمثل جوهر رسالات أولي العزم من الرسل – عليهم السلام – : آدم، نوح، إبراهيم، موسى وعيسى. «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٠٢، وما بعدها).

(٢٩) «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٩٠ – ١٩٢)، و«أشياء من النقد والترجمة»، (ص/ ١٧٨، ١٧٩).

(٣٠) «تحديات وفرص»، (ص/ ٢٢٤).

(٣١) «تحديات وفرص»، (ص/ ٢٢٤).

مطلقًا في أفق النظرة الشهودية، التي تضفي النسبية إلى الهُويات الخاصة، وتتعالى عليها إلى الهوية الإنسانية الواحدة في «دعوة=مشروع الإسلام الإنساني الفطري» (٣٢).

إنَّ «(الإسلام) بوصفه (مشروعًا كونيًا)، لا يعد مجرد عقيدة يعيش عليها الإنسان فرديًّا، أو لتوحيد العرب والمسلمين، وإنَّما هو نظرية كلية في الوجود والقيمة لنجاة الإنسان عامة من التردي الذي يقصر وجوده على الأبعاد الدنيا منه (٣٣). ولا يتحقق ذلك فِعْليًّا إلا من خلال خطط سياسية، إلَّا أنَّه لا يمكن أن يكون (الإسلام) مجرد وسيلة لخدمة رؤية سياسية؛ إذ (الإسلام) أعمُّ وأشمل من كل ما سواه، سياسيًّا كان أو غيره (٣٤). أو أن (الإسلام) كما ينص أبو يعرب المرزوقي، فلسفة تتحقق في التاريخ الفعلي من خلال قيم الاجتهاد النظري والجهاد العملي المتواصل أبدًا (٣٥).

إنَّ (الإسلام) بوصفه (مشروعًا فعليًا)، قد تلازمت في رحابه (الدعوة)، و(الدولة)، فهما متلازمتين غير متدابرتين؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما ليحقق (الإسلام) أهدافه خُلقيًّا، نظير عدم الفصل فيه بين الدين والدنيا، أو الدنيا والآخرة وُجوديًا؛ لأن ادعاء الفصل كما حصل في تاريخ المسيحية، بقدر ما يعكس جوهر التحريف بالمعنى القرآني، يجعل أيضًا من (رسالة الإسلام) مجرد أداة قابلة للاستعمال الإيديولوجي، فضلًا عن أن زعْم الفصل من منظور القرآن كما ينص أبو يعرب المرزوقي مستحيل، إذا أردنا أن نقول استحالة عنقاء مغرب. لذلك كله، فإن ادعاء أو زعم الفصل بين ما جاء به (الإسلام)، سواء كان ذلك التلازم بين الدين والدنيا أو بين الدنيا والآخرة، أو بين الدين والسياسة، أو بين النظري والعملي ونحو ذلك، لا يعدوا أن يكون مجرد سخافة من سخافات محاربي (رسالة الإسلام الخاتم) (٣٦).

وعليه؛ فإنَّ (الإسلام الخاتم) الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام –، تتأسس ماهية إنيته الموضوعية، أو قل، التشريعية، أو إن شئت قلت النصية، على أفق كوني إنساني مفتوح لاحم، قصد تأسيس المملكة الإنسانية الجامعة؛ سواء كان ذلك من خلال التوسل ببيان وتصحيح مطلق أضرب التحريف المتعينة والمتحققة في التاريخ الإنساني، أو كان ذلك من خلال التوسل ببيان

---

(٣٢) «الجلي في التفسير»، (٢/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣٣) «آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٥).

(٣٤) «آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٥).

(٣٥) «الجلي في التفسير»، (٢/ ٢٦).

(٣٦) «الجلي في التفسير»، (٢/ ١٥٥، ١٥٦). يلاحظ في العقود الأخيرة من فضاء الفكر الإسلامي المعاصر، كثرة الدعوات والكتابات الداعية تحديدًا إلى فصل أمور السياسة عن أمور الدين بمسالك فصلية متعددة.

وتأسيس أن (الإسلام الخاتم)، هو في جوهره ملتقى الأديان السامية بنوعيها، طبيعية كانت أو منزلة، أو كان ذلك من خلال التوسل ببيان وتجاوز مطلق العرضيات أو الظرفيات التي تعيق بناء الوحدة الحضارة الإنسانية الشاهدة.

ثالثًا– مفهوم الإسلام وتعالي المُثُل المجردة الإمكانية على واقع التنزيل الوُجوبي:

إنَّ من أهم ما يسوغ به أبو يعرب المرزوقي كونية وعالمية (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن) نظريًّا وعمليًّا، هو أنَّ مطلق ما تتضمنه (مدونة الإسلام الخاتم)، (=القرآن والسنة) من أحكام أو تشريعات وقيم أو مُثُل ونحو ذلك لا يستنفذ إطلاقًا؛ سواء على مستوى الاجتهاد النظري أو الجهاد العملي في مطلق أزمنة التأويل والتكليف المتوالية [٣٧]؛ ذلك أنَّ (المثل الإسلامية=الفطرية)، لا تستغرق ألبتة في عموم تعيناتها في الواقع. والقول بنقيض ذلك، هو عين ما سماه أبو يعرب المرزوقي بـ (الشرك الخلقي)، القائم على اعتبار إحدى تعينات المثل في مختلف المراحل التاريخية، ولو كانت مرحلة أو زمن النبوة والنزول، مستوفية لمطلق المثل عامة والإسلامية=الفطرية خاصة؛ ليكون المسلم بذلك وثنيًّا من حيث لا يعلم، فلا يكون بالتبع مستقلًا لغرقه في التعين، وحصْر المتعالي في أحد أعيانه المحايثة، فينحط وجوده إلى التبعية الوجودية المطلقة المفضية إلى الموت المطبق للإبداع نظريًّا اجتهاديًّا وعمليًّا جهاديًّا، نظرًا لغياب أسباب (الثورة الإسلامية الحقيقية)، القائمة أساسًا على ناظم الاجتهاد والجهاد بالمعنى العميق [٣٨].

تعزيزًا لما سبق، يقول أبو يعرب المرزوقي: «كما لا يمكن أن نتصور قيم الإسلام أمرًا قد تحقق في لحظة من لحظات تاريخ الإسلام–بما في ذلك اللحظة التي كان على رأسها الرسول نفسه؛ لأنَّ المثال الأعلى إذ تحقق في تعين، يجعل كل التاريخ محاكاة لتجربة عينية، فيخلوا من الإبداع، الذي هو جوهر ما لأجله كان الإنسان مكلفًا. وأساس تحقير القرآن الكريم من حجة هذا ما وجدنا عليه آباءنا لسبًا والتعظيم من حجة تلك أمة قد خلت إيجابًا–ويكفي تكرارها للخروج من الفصام بين المثال والواقع» [٣٩]. ويقول أيضًا في سياق آخر: «كون المُثُل عامة والإسلامية خاصة؛ (لأنَّها تتضمن دعوى الكونية الخاتمة، أي: إنَّها ليست مُثلًا لزمن معين)، لا يمكن أن تتحقق في سلوك قوم مهما قاربوا التمام بمن في ذلك أهل عصر الرسول؛ لذلك لـم يخلُ القرآن من نقد الكثير من سلوكهم. والقصد أنَّ المرء لا يمكن أن يكون مسلمًا بالتقليد؛ سواء قلد الصدر أو قلد الأوروبيين، بل هو لا يكون مسلمًا حقًّا إلا بالاشرئباب الدائم إلى مثل الإسلام في طوقه إلى استكمال ذاته من ذاته. أما إذا تصورنا قيم الإسلام قد

---

(٣٧) «تحديات وفرص»، (ص/ ١٠٨ – ١٦٧).

(٣٨) «النخب العربية وعطالة الإبداع من منظور الفلسفة القرآنية»، (ص/ ١٦٨ – ١٧٢ – ٢٠١).

(٣٩) «تحديات وفرص»، (ص/ ٨)، و«النخب العربية وعطالة الإبداع»، (ص/ ١١٨ – ١٦٩)، و«آفاق النهضة العربية»، (ص/ ٥٩).

تحققت في زمن ما في ماضينا أو في حاضر الغرب، فإن جعل المرء مسلمًا يصبح مقصورًا على تقليد ذلك الزمن؛ وذلك هو جوهر الاغتراب الروحي، والذي يمكن أن يعد السمة الجوهرية لما يمكن أن يسمى موت التجربة الروحية» (٤٠).

وعليه: فإن ما أراد أن يخلص إليه أبو يعرب المرزوقي، هو أن (الإسلام النصي الخاتم) الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام –، لا يمكن بحال من الأحوال أو بعلة من العلل أن يستنفذه واقع مهما كان، ولو كان واقع زمن النبوة والنزول، ليكون إبداع التعلق بـ (إسلام النص الشرعي) في ارتقاء دائم؛ وإلَّا أورث ذلك اغترابًا ممقوتًا، أو استبدال تقديس المتحيز–المحايث بالمتعالي المطلق– المفارق.

رابعًا– مفهوم الإسلام والحنيفية المحدثة:

مِن أهم المفاهيم التي يستعملها أبو يعرب المرزوقي في سبيل إرساء دلالة مفهوم (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن)، أو (إسلام الفطرة الجامعة)، تجد مفهوم (الحنيفية المحدثة)، أو (الإبراهيمية المحدثة)، أو (الإبراهيمية الثانية–إبراهيم الثاني محمد عليه الصلاة والسلام)؛ بوصفه يعكس جوْهر دلالة مفهوم (الإسلام) الذي جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام –، باعتبار الزمن المتقدم عليه زمانيًا (٤١). ويقصد بـ (الحنيفية المحدثة) في هذا السياق، استلهام تجربة إبراهيم الخليل – عليه السلام – في تحطيم الأصنام والأوثان فعليًّا ورمزيًّا، وعموم ما ترمز إليه أحداثه التاريخية من عِبر وقيم متعالية بوصفها من المثل العامة (٤٢). أو هي باعتبار آخر، تشكل لب (الإصلاح المحمدي) للأديان السماوية ونقدها في القرآن نقدًا أوْصل إلى التوحيد بين (الدين المنزل الأسمى)، و(الدين الطبيعي الأسمى) تحت اسم واحد هو (الفطرة الإسلامية الجامعة) (٤٣). وهي (حنيفية) باعتبارها تحديدًا جديدًا جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام –، يحيي به (الحنيفية المحدثة)، خصوصًا بعض العقائد الأساسية فيها (٤٤).

---

(٤٠) «فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي، (ص/ ٨٧).

(٤١) «تجليات الفلسفة العربية»، (ص/ ١٣٣). قد أمر الرسول – عليه الصلاة والسلام – في العديد من الآيات القرآنية باتباع ملة إبراهيم حنيفًا. تأمل النصوص القرآنية الآتية: [النحل: ١٢٣].

(٤٢) «الجلي في التفسير»، (٣/ ١٤٤). من أهم ما يشير إلى منهج تجربة إبراهيم – عليه السلام –، تجده في النصوص القرآنية الآتية: [البقرة: ٢٥٩]، و[الأنعام: ٧٥ – ٨٠].

(٤٣) «آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٦٧، ١٦٨)، و«الوعي العربي في قضايا الأمة»، (ص/ ٥٠ – ١٦٥)، و«أشياء من النقد والترجمة»، (ص/ ٩١)، و«وحدة الفكرين الديني والفلسفي»، (ص/ ٢٢ – ٢٥).

(٤٤) «تجليات الفلسفة العربية»، (ص/ ٢٠ – ٤٩). قد وردت بعض أهم تلك العقائد «الحنيفية الإبراهيمية» في العديد من الآيات النصية القرآنية.

إنَّ (الإسلام الخاتم=إسلام القرآن) بوصفه (حنيفية محدثة)، يقدمه الرسول – عليه الصلاة والسلام – على أنَّه (دين الفطرة=الدين الفاتح)، المتقدم على مختلف الأديان السماوية السابقة عليه نزولًا، المحمول في التاريخ الإنساني وفي اعتقاد كل فرد معًا، ليتم به تجاوز مطلق الظرفيات أو العرضيات المفرقة (٤٥). علمًا أنَّ إبراهيم – عليه السلام – يقدم بوصفه أفقًا جامعًا ولاحِمًا بين الناس.

وعليه: فإنَّ ما أراد أن يخلص إليه أبو يعرب المرزوقي من خلال ربط (الإسلام النصي الخاتم) الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام – بـ (إسلام حنيفية إبراهيم عليه السلام)، هو أنَّ (الإسلام الخاتم) بقدر ما هو الدين المتقدم والمتأخر على مطلق أضرب التحريف على مستوى المقومات الكلية، بالنظر إلى قيام أصله على ناظم (الإصلاح)، بقدر ما هو (الدين الجامع) بالنظر إلى قيام إنيته الذاتية على ناظم الفطرة الخلقية وناظم التوحيد بين الأديان السامية بنوعيها المنزلة والطبيعية معًا (٤٦). لذلك كله؛ فإنَّ (الإسلام الخاتم) يتعين أن يكون متبعًا بمقتضى (قانون الواقع) وليس بمقتضى (قانون الواجب) فحسب.

---

(٤٥) «شروط نهضة العرب والمسلمين»، (ص/ ١٩٠ – ١٩٢)، و«آفاق النهضة العربية»، (ص/ ١٤ – ١٧٢)، و«أشياء من النقد والترجمة»، (ص/ ١٧٨ – ١٧٩)، «تجليات الفلسفة العربية»، (ص/ ١٣٣).

(٤٦) الدعوة إلى فكرة الوحدة أو التوحيد بين الأديان بنوعيها، بقدر ما تجدها عند أبي يعرب المرزوقي، تجدها أيضًا عند كل من: محمد أركون، ومحمد عابد الجابري، ومحمد شحرور، وغيرهم، وإنْ برؤى وأنظار مختلفة، وهي ليست من الأفكار المحدثة أو المبتدعة، بل قديمة ومتجذرة في مختلف أزمنة التأويل في تاريخ الفكر الإسلامي. وممن فنَّد أسس هذه الدعوة تجد طه عبد الرحمن في عموم مصنفاته.